التقدّمية» في التصدي لـ «الهجمة الامبريالية على المنطقة»؟ يتيح لنا هذا السؤال، في الحقيقة، ان نذكّر بأن السوفيات لم يكونوا متصلّبين ازاء قوة اقليمية بقدر تصلّبهم ازاء قوة عظمى. ثمّ ان الشرق الاوسط لم يكن يحتل، بعد، قائمة الاهتمامات السوفياتية في الخارطة السياسية على الصعيد العالمي، الّا بمقدار ارتباطه بالمواجهة الشاملة مع الولايات المتحدة الاميركية، من جهة، والحرب التي كانت دائرة رحاها في فيتنام، من جهة أخرى، على اعتبار ان النزاع هو، في تحليل موسكو الايديولوجي له، تفرّع للمواجهة الثنائية «التقدمية ـ الرجعية» في العالم[٤١].

الاستعداد للحرب

من هنا اتخذ الاهتمام السوفياتي بالمنطقة طابع دعم الحكومات العربية «التقدمية» المعادية، اجمالاً، للنفوذ الغربي. ففي نيسان (ابريل) ١٩٦٧، حدّدت موسكو الابعاد الاستراتيجية لتحرّكها الدبلوماسي في الشرق الاوسط، في خطاب ليونيد بريجنيف، في مؤتمر القادة الشيوعيين في براغ، الذي طالب فيه بانسحاب الاسطول الاميركي السادس من مياه البحر الابيض المتوسط. وضمن هذه الصورة للاهتمامات السوفياتية، ركّزت موسكو، خلال النصف الاول من العام ١٩٦٧، على الدور الذي يمكن ان تلعبه اسرائيل في تهديد «الانظمة التقدمية» في المنطقة، فسعت الى مواجهة الاستراتيجية الاميركية، أو على الاقل حصر فاعليتها، من خلال حثّها مصر على اتخاذ تدابير دفاعية بوجه المخططات العدوانية الاسرائيلية ضد سوريا[٤٢].

ازاء النفوذ الاميركي في المنطقة، تطبّق القاعدة بشكل مطلق: ان هدف موسكو شبه المعلن، هو العمل، قدر المستطاع، على اضعاف نفوذ منافسها الدولي على أرض المنطقة، واستبعاد وجوده العسكري، بأي حال. وعلى الرغم من هذا الوضوح، فقد ظل رئيس المنظمة، احمد الشقيري، على غير يقين من مقاصد السياسة السوفياتية؛ لذلك زار سفير الاتحاد السوفياتي في العاصمة المصرية ثلاث مرات في أيار (مايو) ١٩٦٧، في اثناء الازمة المتصاعدة التي سبقت العدوان الاسرائيلي، وحاول، من خلالها، ان يتعرّف على موقف الاتحاد السوفياتي من احتمالات الحرب، ورأي موسكو في سحب القوات الدولية ومسألة خليج العقبة. وسمع من السفير السوفياتي العبارات «التقليدية» بتأييد العرب، وبتقديم المساعدات، وبعدم السماح بالعدوان وبالتدخل الاجنبي، ممّا دفعه الى الاحساس بأن موسكو تريد ان تقف عند حدود معيّنة، لا تريد ان تتجاوزها[٤٣].

في هذه الاثناء، أصدرت الحكومة السوفياتية بياناً، في ٢٣ أيار (مايو)، أعلنت فيه دعمها للدول العربية في الأزمة المتصاعدة في المنطقة، فأكد البيان «ان مَنْ يغامر بشنّ عدوان في الشرق الادنى، سوف يجابه لا بالقوة الموحّدة للشعوب العربية فحسب، بل بالمقاومة الحازمة من قبل الاتحاد السوفياتي والدول المحبة للسلام». وعبّر البيان عن اعتقاد الحكومة السوفياتية بـ «ان اسرائيل لا تجرؤ على تأزيم الموقف ما لم تحصل على تشجيع، مباشر وغير مباشر، من بعض الدوائر الامبريالية التي ترغب في اعادة الاضطهاد الى الارض العربية». وهذه الدوائر «تستعمل اسرائيل كقوة رئيسة ضد الاقطار العربية التي تتبع سياسة وطنية مستقلة، وتقاوم الضغط الامبريالي». وأضاف البيان: «ان الاتحاد السوفياتي يتتبع، باهتمام بالغ، تطوّر الاحداث في الشرق الاوسط؛ وهو ينطلق من ان اقرار السلام والامن في هذه المنطقة المتاخمة لحدود الاتحاد السوفياتي يستجيب للمصالح الحيوية للشعوب السوفياتية»[٤٤].

وعلى الرغم من وضوح البيان، اعلاه، بتأييد الدول العربية في الأزمة، والتحذير من شنّ